

١ باب قول الله تعالى

(فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)

قال ابن عباس - رضي الله عنه - في الآية : الأنداد: هو الشرك ، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل ؛ وهو أن تقول : والله وحياتك يا فلان وحياتي ، وتقول : لولا كلبية هذا لأتانا اللصوص ، ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص ، وقول الرجل لصاحبه : ما شاء الله وشئت ، وقول الرجل : لولا الله وفلان ، لا تجعل فيها فلانا ؛ هذا كله به شرك . رواه ابن أبي حاتم .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» رواه الترمذي وحسنه ، وصححه الحاكم . وقال ابن مسعود رضي الله عنه : لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقا .

وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : «لا تقولوا : ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا : ما شاء الله ثم شاء فلان» رواه أبو داود بسند صحيح .

وجاء عن إبراهيم النخعي : أنه يكره أن يقول أعوذ بالله وبك ، ويجوز أن يقول : بالله ثم بك ، قال : ويقول : لولا الله ثم فلان ؛ ولا تقولوا : لولا الله وفلان .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية البقرة في الأنداد .

الثانية : أن الصحابة رضي الله عنهم يفسرون الآية النازلة في الشرك الأكبر أنها تعم الأصغر .

الثالثة : أن الحلف بغير الله شرك .

الرابعة : أنه إذا حلف بغير الله صادقا فهو أكبر من اليمين الغموس .

الخامسة : الفرق بين {الواو} وبين {ثم} في اللفظ .

الشرح :

لا زال المؤلف رحمه الله تعالى يتكلم في مسألة التنديد - يعني التشريك - ومعلوم أن التوحيد لا يتم إلا بركنين اثنين : أفراد الله جل وعلا بالعبادة ؛ ونفي الند عن الله سبحانه وتعالى ؛ وهما في كلمة لا إله إلا الله ، ففيها نفي واثبات : (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلمكم

تتقون) إلى أن قال (فلا تجعلوا لله أندادا) ، فقوله : (اعبدوا ربكم) أمر بإفراد الله جل و علا بالعبادة .

وهذا الباب يتكلم في ثلاثة أمور :

الأول : نسبة النعم لغير الله ، وإضافتها لغير الله من الأسباب ؛ كما مر في الباب السابق .

الثاني : التنديد في الحلف بغير الله ، كما سيأتي .

الثالث : التنديد والتشريك في المشيئة ؛ وقس على ذلك من أفعال الله جل و علا .

قوله : باب قول الله جل و علا (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) .

هذه الآية من سورة البقرة (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون. الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا) .

فقوله : (يا أيها الناس) هذا نداء لجميع الناس - مؤمنهم وكافرهم - (اعبدوا ربكم) وهذا أمر بالعبادة ، وهو أول أمر بالعبادة والتوحيد بين دفتي المصحف .

(يا أيها الناس اعبدوا ربكم) ربكم : أتى هنا بالربوبية لأن غالب الأمم لا تنازع في توحيد الربوبية إلا ما جاء من استكبار فرعون وعناده ومع ذلك هو يوقن بالرب، عندما قال للناس (أنا ربكم الأعلى) وهو يعلم في نفسه أنه كاذب وأنه ليس ربا، لذلك قال تعالى (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) كذلك الدهرية الثنوية المجوس الذين يقولون بالهين اثنين - إله النور وإله الظلمة - النور يخلق الخير والظلمة تخلق الشر؛ لكنهم لا يقولون بتساوي إلهين بل يقولون بأن النور خير من الظلمة وأن النور قديم والظلمة محدثة .

والقصد من هذا الكلام أن غالب الأمم تقر بالربوبية ، أن الرب هو الذي يخلق ويرزق ويدبر ويتصرف في كونه لكن أكثر التشريك حصل في مسألة العبادة ، ومنه ما حصل في مسألة الأسماء والصفات .

قوله : (اعبدوا ربكم) قد يسأل بعض الناس لماذا العبادة ؟ فذكر هنا ثلاثة براهين وذكر بعدها النهي عن الشرك وفيه الأمر بالتوحيد وإفراد الله جل و علا بالتوحيد، إن كنتم تعلمون أنه سبحانه وتعالى الخالق والمتفرد بالخلق والرزق والتدبير فاعبدوه ولا تشركوا به شيئا ، هذه البراهين الثلاثة هي في الحقيقة براهين على توحيد الربوبية، ومعلوم أن توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية ، فالذي يقر بالربوبية نقول له : إذا أقررت بالرب الخالق الرازق

المدير المتصرف في كونه يجب عليك أن تفرد هذا الرب بالعبادة وحده سبحانه وتعالى ، لأن الله قال: (أفمن يخلق كمن لا يخلق) وقال: (أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون) . فهذا نوع من السفه ؛ فمن ترك الذي خلق ورزق وأعطى ودبر وهدى وذهب للمخلوق يصرف له العبادة ، فأى عقل له ؟ (أفمن يخلق كمن لا يخلق) لذلك الشيخ الشنقيطي رحمه الله تعالى في أضواء البيان يقول بأن هذه الدلائل الثلاثة التي سنذكرها أو البراهين هي دلائل على البعث ؛ ويركز الشيخ في شرحه لهذه الآية بأن الآيات كثيرة في القرآن دلت وأشارت على هذه المسألة - مسألة أن الذي يخلق هو الذي يُعبد فقط ، وهو الذي ينبغي أن يفرد بالعبادة ، الذي يخلق ويتفرد بالخلق سبحانه وتعالى هو الذي ينبغي أن يعبد ولا تصرف العبادة لسواه - (يا أيها الناس ضرب مثل فاستعموا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه) ويقول إن هذه المسألة كثيرة جدا في الآيات ، ومعناها وخلاصتها لفت أنظار أولئك أن الذين ينبغي أن يفرد بالعبادة هو الذي يخلق ؛ فيقال للمشركين: هل هذه الآلهة أو الأصنام تخلق؟ لن يقولوا هذا لن يدعي أحد أن هبل يخلق لأنهم هم الذين صنعوا هبل وصنعوا اللات وصنعوا العزى، لم يدع أحد أن هؤلاء يخلقون لكن حصل الشرك بها ، باتخاذها شفعاء عند الله سبحانه وتعالى، بتقريب القرب إليها، كالذبح أو النذر أو دعائها أو غير ذلك .

وابن كثير- رحمه الله تعالى - ذكر أن الفخر الرازي ذكر في كتابه المنسوب إليه: السر المكتوم في مخاطبة النجوم : أنهم اتخذوا هذه الأصنام بعضها صور للكواكب، مثلا القمر؛ صنعوا له تمثالا أو صنما سموه باسم مناسب لاعتقاد أن هناك روحانيات تنزل من القمر الذي هو إلههم في هذا الصنم ؛ هذا صنم من المشركين ؛ صنم آخر: كان الشيطان يتمثل أحيانا في هذه الأصنام والتماثيل فيخاطب من يدعو هذه التماثيل والأصنام فيظنون أن هذه التماثيل والأصنام تستجيب لهم . أصناف ذكرها الفخر الرازي في هذا الكتاب لو صح نسبته إليه .

إذا القضية التي يتكلم عليها الشنقيطي كثيرا قضية أن الذي ينبغي أن يفرد بالعبادة هو الذي يخلق ؛ لذلك قال تعالى في هذه الآية (اعبدوا ربكم الذي خلقكم) ليس هذا فقط (والذين من قبلكم) خلق الأولين والآخرين، إذا هذا هو البرهان الأول (لعلكم تتقون) تتقون عذاب الله سبحانه وتعالى، وتكونون من المتقين .

فهذان تفسيران ذكرهما الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية الكريمة .

البرهان الثاني: (الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء) وهذا برهان عظيم جدا، الأرض فراش ؛ الفراش الآن عندما تنام عليه فإنك تشعر بالراحة ، تشعر بأنه ميسر مذل تأخذ راحتك عليه فكذاك من فضل الله أن جعل هذه الأرض ميسرة مذللة، تمشي عليها السيارات وتمشي عليها الدراجات وتمشي عليها الدواب ويمشي عليها الإنسان ، يرمي فيها البذرة فتخرج شجرة كبيرة يأكل منها الفئام من الناس، وجعل فيها رواسي وجعل فيها أنهارا وبحارا تجري فيها السفن ، نعم كثيرة جدا من نعم الله سبحانه وتعالى ، والسماء أعظم، خلقها أعظم، بل خلقها أعظم من خلق الناس كما قال تعالى (لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس) وقال تعالى (أنتم أشد خلقا أم السماء بناها) يعني انظر إلى نفسك هكذا عندما تنظر إلى السماء تجد نفسك لا شيء، وليس هذا فقط وإنما جعل لهذه السماء منافع لنا .

فخلق السماوات أعظم من خلق الناس ، وهذا برهان آخر ، فالذي خلق كل هذا وخلق الإنسان وخلقنا وخلق من قبلنا قادر على أن يعيد هذا الخلق (كما بدأنا أول خلق نعيده) ومن المعروف عند كل أحد أن الإعادة أسهل من الابتداء .

البرهان الثالث: (وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) السماء هنا المقصود بها السحاب والعلو ؛ لأن السماء تطلق في اللغة على كل ما علاك فهو سماء ، والماء ينزل من المزن وهي السحاب ، أنزل من السماء ماء ؛ فالماء واحد والثمرات متنوعة .

ومن الفوائد اللطيفة التي ذكرها الشيخ ابن عثيمين في هذه المسألة: من فضل الله أن الماء ينزل من أعلى ليعم الجبل والهضبة والسهل والذي في البعيد والقريب بخلاف ما إذا كان الماء يجري لو كان ماء المطر هذا يجري لكان الناس يتحكمون فيه، كما قصة الزبير لما اختصم إلى النبي صلى الله عليه وسلم في شراج الحرة مع صاحبه الأنصاري .

فمن فضل الله أن الماء يأتي من فوق، لا أحد يتحكم فيه، ليعم خيره ، إذا هذا أيضا من نعم الله العظيمة أن هذا الماء ينزل من فوق من أعلى فيعم خيره وينتشر، ومن أعظم النعم وأعجب النعم أن هذا الماء ماء واحد ينزل على أرض واحدة، فيها نبات وبذور من نوع واحد مثلا.. يخرج منها من الأشكال والألوان والروائح والطعومات المختلفة العظيمة الكثيرة وهو ماء واحد

والتربة واحدة ، ليس هناك أحد عنده تربة من ذهب والثاني تربة من فضة والثالث تربة مميزة ؛ لا ؛ سبحان الله.. التربة واحدة والماء واحد وتخرج هذه الثمرات العظيمة التي لا يستطيع أحد أن يحصيها إلا الله سبحانه وتعالى . لذلك ابن كثير يقول بأن بعض العلماء استدل بهذه الآية يقصد هاتين الآيتين على وجود الصانع يقصد الرب جل وعلا .

مما ذكره ابن كثير قصة أبي حنيفة المعروفة ، جاء ناس يجادلونه من الزنادقة في الخالق فقال أرايتم لو أن سفينة تمشي في البحر محملة بالبضائع كل ما يشتهي ثم إن هذه السفينة تمر على البلدان فتنزّل هنا بضاعة وهنا بضاعة وليس لها قائد ولا ملاح ، فتعجب هؤلاء وقالوا هذا مستحيل ، فقال إذا كان هذا مستحيلا وهي سفينة صغيرة فيها بضائع فكيف بهذا الكون العظيم البديع المحكم وما فيه من الأرزاق والخيرات إلى غير ذلك ؟

أما الإمام مالك فاستدل بدليل لما سأله الرشيد عن هذه المسألة استدل باختلاف الأصوات واللغات والنعيمات بين الناس .

الإمام الشافعي استدل بدليل يقول ورقة التوت تأكلها الدودة فتخرج الحرير وتأكلها النحلة أو تشمها وتأكل من رحيقها فتخرج العسل، وتأكلها البهائم فتخرج البعر وإلى غير ذلك .

الإمام أحمد استدل بالبيضة ، يقول شيء أملس صافي ناصع البياض يابس ينشق فيخرج منه كائن يصيح ، ذلك من آيات الله . هذه استدلالات الأئمة الأربعة.

قال تعالى : (فأخرج به من الثمرات رزقا لكم) ثم قال (فلا تجعلوا لله أندادا) رزقا لكم: للجميع، للمؤمن والكافر (يا أيها الناس) وهنا (رزقا لكم) إذا لم يرزق الله سبحانه وتعالى الكافر فمن الذي سيرزقه؟ إذا منع عنه عطياه الطعام والشراب والصحة والإمداد هل الحياة ستستمر وتقوم؟
الجواب : لا لذلك قال ربنا (رزقا لكم) أي للجميع المؤمن والكافر .

ثم قال: (فلا تجعلوا لله أندادا) وهذا هو أول دليل أتى به المؤلف في هذا الباب، فالفاء هنا للسببية ، أنتم آمنتم بهذه البراهين السابقة وآمنتم بأن الرب جل وعلا هو المتفرد بالربوبية فلا رب غيره ولا رازق غيره ولا هادي غيره ولا مدبر لهذا الكون غيره .

قوله : {فلا تجعلوا}.. لا هنا ناهية.. لا تجعلوا لله أندادا.. والأنداد جمع ند وهو الشبيه والنظير.. قال ابن القيم: الند الشبيه يقال فلان ند فلان ونديده.. أي مثله وشبيهه.. ابن القيم تكلم عن هذه المسألة في إغاثة اللفهان بكلام طويل

ينبغي أن يراجع في المجلد الثاني من صفحة ٣٢٥ وقبلها فتكلم على مسألة التنديد والندية في هذه الآية (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله) إلى آخره .

(فلا تجعلوا لله أندادا) كلمة أندادا: نكرة في سياق النهي فهي تعم ؛ أي : لا تجعلوا لله أي ند من الأنداد حتى لو كان ملكا من الملائكة حتى لو كان رسولا من الرسل أو نبيا من الأنبياء حتى لو كان أي شخص ؛ وكذلك فيما يتقرب به لا قليل ولا كثير . قوله : (وأنتم تعلمون) أنتم تعلمون أنه ليس له ند في الربوبية فلماذا تجعلون له ندا في العبادة ، وتقرون بأفعاله وتفردونه بأفعال الربوبية فيجب عليكم أن تفردوه بأفعالكم أفعال العبادة ، وأنتم تعلمون أن من تفسير توحيد الربوبية أفراد الله بأفعاله، وتوحيد الألوهية والعبادة أفراد الله بأفعال العباد ، فأنتم تفردون الله سبحانه وتعالى بأفعاله وتعلمون أنه ليس له ند في ربوبيته وفي أفعاله لم يخلق سواه ولم يرزق سواه ولم يتصرف سواه في الكون ولم يدبر سواه فلماذا تجعلون له ندا في العبادة؟ وهو الأمر الذي بعثت الرسل من أجله ؛ وحاربوا المشركين من أجله، من أجل أفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة ؛ وألا يجعل له ند في عبادته وألوهيته كما ليس له ند سبحانه وتعالى في ربوبيته .

واتخاذ الأنداد أو الند يكون على قسمين:

القسم الأول : تنديد أكبر ينقل الإنسان إلى الشرك الأكبر؛ اتخاذ الند للرحمن أو لله سبحانه وتعالى سواء كان ذلك في الربوبية كأن يعتقد أن هناك ندا لله مماثلا لله شبيها لله يخلق أو يرزق أو يعطي أو كان تنديدا في العبادة كأن يصرف لغير الله يصرف المحبة أو الرهبة والرغبة والتعظيم، يعظمه ويحبه كحب الله أو أعظم من حب الله أو يرجوه كما يرجو الله أو أعظم مما يرجو الله ونحو ذلك .

القسم الثاني: تنديد أصغر ؛ وهو محل البحث ، تنديد أصغر يعني حكمه حكم الشرك الأصغر وهو مثاله كالشرك في الألفاظ ، هذا من الأمثلة، وإلا نحن ذكرنا أمثلة قبل ذلك ، فيسير الرياء من التنديد، وكذلك التصنع للمخلوقين ، كما ذكر ابن القيم هذا الكلام ، فهذا من التنديد الذي هو شرك أصغر، ومحل بحثنا هو الشرك في الألفاظ..

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى في بيان النوع الأول:

والشرك فاحذره فشرک ظاهر ذا القسم ليس بقابل الغفران
وهو اتخاذ الند للرحمن أيا كا ن من حجر ومن إنسان

يدعوه أو يرجوه ثم يخافه ويحبه كمحبة الديان

هذا القسم هو القسم الأكبر .. الشرك الأكبر الذي لا يغفر ولا يقبله الله سبحانه وتعالى .

أهل العلم تكلموا في معنى التنديد في هذه الآية الكريمة (فلا تجعلوا لله أندادا) ذكر هذه الأقوال ابن أبي حاتم في تفسير سورة البقرة ونقلها من هناك ابن كثير وغيره من المفسرين ومن هذه الأقوال (لا تجعلوا لله أندادا) قال ابن عباس: أشباها.. أندادا يعني أشباها.. وقال قتادة والربيع بن أنس وأبو العالية: لا تجعلوا لله أندادا: يعني عدلاء وشركاء.. وقال مجاهد أيضا: أكفاء من الرجال تطيعونهم في معصية الله.. ولذلك قلنا بأن باب من أطاع العلماء والأمراء في معصية الله.. إلى آخره.. يدخل في هذا بناء على هذا التفسير، بناء على تفسير مجاهد وقاتادة، فكأن المؤلف رحمه الله تعالى لاحظ ذلك وقسم هذه الأبواب على تلك الصور من التنديد رحمه الله تعالى . القول الرابع وهو قول عبد الرحمن بن زيد: الأنداد الآلهة التي جعلوها معه وجعلوا لها مثل ما جعلوا له الله سبحانه وتعالى.. قال مجاهد: وأنتم تعلمون أنه إله واحد في التوراة والإنجيل .

قال ابن كثير رحمه الله تعالى عقب هذه الآية: ذكر حديث في معنى الآية الكريمة.. وذكر حديث الحارث الأشعري الذي رواه الإمام أحمد في المسند **في المجلد الرابع صفحة ١٣٠** ذكر أن الله سبحانه وتعالى أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات وأمره أن يبلغ بني إسرائيل لها، فقال لهم إن الله أمرني بخمس كلمات، أول هذه الكلمات: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، فإن مثل ذلك مثل رجل اشترى عبدا مملوكا من خالص ماله ؛ بورق ؛ فجعل يعمل ويؤدي غلته إلى غير سيده - فهذا السيد اشتراه بخالص ماله بالذهب أو بالفضة فالواجب على هذا العبد يعمل ويتعب ويأتي بهذا المال ويعطيه للسيد صاحب النعمة ، لا، أتى بهذا المال وأعطاه إلى غير سيده - فقال : فأياكم يسره أن يكون عبده كذلك؟ من الذي يحب أن يكون عبده كذلك ؛ يعمل لغيره ويعطي غيره - قال: فإن الله خلقكم ورزقكم فاعبدوه ولا تشركوا به شيئا.. سبحانه الله خلقكم ورزقكم ولا يزال يرزقكم ويمدكم والمشركون يصرفون العبادة لغيره . فالله سبحانه وتعالى يخلق ويُعبد غيره ويرزق ويُعبد غيره ويعطي ويمد ويُعبد غيره ، فهذا أظلم الظلم ، لذلك كان الشرك أظلم الظلم الشرك .

هناك حديث ورد عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه رواه أبو يعلى في مسنده ، في مسند أبي بكر الصديق ؛ ورواه كذلك المروزي في كتابه مسند

أبي بكر الصديق، فيه الكلام الذي ذكره ابن عباس موقوفا عليه في هذا الحديث وبعض هذا الكلام مرفوعا إلى النبي ﷺ، يعني يصلح أن يوضع مع هذا الباب .

عن حذيفة يرويه عن الصديق قال النبي ﷺ: «الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل» يكلم من؟ يكلم الصحابة رضي الله عنهم ، فالرسول الكريم ﷺ يخاف على الصحابة من الشرك.. الذين فيهم العشرة المبشرون بالجنة والذين جاهدوا في الله وهاجروا وأنفقوا أموالهم وبذلوا أنفسهم ومع ذلك يخاف عليهم ، لأن الشرك منه ما هو خفي جدا ، أخفى من دبيب النمل ، مشي النمل على صخرة أو أثر مشي النملة على الصخرة السوداء أو الصماء .

فإذا كان الرسول الكريم ﷺ يخاف على أصحابه فالأولى بنا أن نخاف نحن على أنفسنا ، لأن من الناس من يقول هذا كان في أول الأمر؛ أما الآن فقد فهم الناس التوحيد ؛ وعندهم الذي يحذر من الشرك ويأمر بالتوحيد يقولون له أنت فرقت الناس وأنت تفرق الناس تأتي تتكلم بأمور بالية ؛ لقد ذهب كفار قريش وانتهى الأمر.

وهذا جاهل ، سواء كان فردا أم جماعة أم دعوة ؛ هذا جاهل بالتوحيد وجاهل بالشرك.. لأن النبي ﷺ أنصح الأمة للأمة، يحذر الصحابة الكبار.. وهذا الحديث يرويه حذيفة عن الصديق وهو من أوائل الأحاديث التي ذكرها أبو يعلى في مسند أبي بكر الصديق وكذلك من أوائل الأحاديث التي ذكرها المروزي في مسند أبي بكر الصديق ، حديث رقم ١٧ في مسند أبي بكر

الصديق قال: الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل.. يعني أخفى من مشي النمل أو أثر مشي النمل على الصخرة.. فالصديق يستفسر يقول له : يا رسول الله وهل الشرك إلا ما عبُد من دون الله أو ما دُعي مع الله؟ {أو} هذه شك من عبد الملك ، وهو ابن عبد العزيز بن جريج ؛ هل الشرك إلا ما عبُد من دون الله أو ما دُعي مع الله؟ الدعاء صورة من الصور، صورة للعبادة، فقال له: «ثكلتك أمك يا صديق» يعني فقدتك أمك ، فإذا كان الصديق يسأل عن هذه المسألة ويقول له النبي ﷺ هذا الكلام فكأن هذا جواب على الذين يزهدون الناس في تعلم التوحيد أو تحذير الناس من الشرك ، فيقول له الرسول الكريم ﷺ: «ثكلتك أمك يا صديق الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل» ثم ذكر الحديث وفيه «الشرك أن يقول» يعني يقول الرجل «أعطاني الله وفلان» إذا كلامنا الآن في كلمة: {وفلان} الواو محل الشاهد هنا الواو، ساوى بين الخالق

والمخلوق في العطاء.. أعطاني الله وفلان.. الواو هنا تشريك بين الخالق والمخلوق ؛ في الحديث يعني: أن يقول الإنسان لولا فلان قتلني فلان.. شوف يقولك لولا الحارس لقتلني فلان أو العدو.. إذا هذا تشريك أيضا في نسبة الأفعال أو في نسبة النعم لغير الله ، ينسبها للسبب ويترك خالق السبب، ويترك الذي سبب السبب وهو الله سبحانه وتعالى.. من أجل ذلك كان هذا خفيا .

إذا تأملت في الناس وفي كلام الناس ستجد هذه العبارات كثيرة.. التسوية بين الخالق والمخلوق بذكر الواو التي هي لمطلق الجمع، كذلك ينسب النعم لغير الله.. لولا فلان لقتلني.. لولا فلان لخسرت التجارة.. لولا فلان ما نجحت في الامتحان.. لولا فلان وقف بجانبني لانهارت التجارة أو لانهار المحل أو لانهارت الصفقة ونحو ذلك .

هذا الحديث رواه أبو يعلى ؛ وفيه ليث بن أبي سليم ، متكلم فيه ، صدوق اختلط كثيرا، ولم يتميز حديثه فترك ، والراوي عنه لا يعرف ؛ إلا أن الحديث متنه صحيح بشواهده ؛ كما قال الشيخ الأرناؤوط في تخريج مسند أبي بكر الصديق للمروزي .

وهذا من المرفوع الذي فيه ما قال ابن عباس في معنى الآية ، الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء.. الصفاة: الحجر الأملس.. سوداء في ظلمة الليل.. هذا يدل على شدة خفائه وعسر التخلص منه.. إذا كان هو أخفى من دبيب النمل على صخرة سوداء في ظلمة الليل ؛ فمن الذي سيرى أثر دبيب النمل في هذا الوقت على هذه الصخرة؟!

فهذا يدل على خفاء الشرك وعسر التخلص منه «وهو أن تقول والله وحياتك يا فلان وحياتي» وهذا هو أول نوع من الأنواع التي ذكرها المؤلف من الأنواع الثلاثة: الحلف بغير الله ، بالأمانة بفلان ب حياة فلان بالرسول بالنبى، بما هو واقع الآن كثيرا بين الناس.. أحيانا تقول لواحد يا فلان لا تحلف بالنبى ﷺ فيقولك : والنبي ما عدت حالف بالنبى من شدة تعلقه بهذا الأمر والتصاقه به..

إذا هذا أول نوع، والمؤلف سيذكر بعد ذلك الأمثلة على ذلك والأدلة ، وسيذكر بعد ذلك بابا مستقلا في هذا ثم بابا آخر في التشريك في المشيئة .

وقد رأى النبي ﷺ عمر بن الخطاب يحلف بأبيه فقال «لا تحلف بأبيك» . وفيه : «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» هكذا الرواية في سنن البيهقي، وفي البخاري: «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بأبائكم من كان حالفا فيحلف بالله

أو ليصمت». وقد وردت أحاديث كثيرة في النهي عن الحلف بغير الله ؛ كقوله صلى الله عليه وسلم : «لا تحلفوا بأبائكم ولا بالطواغي» وفي رواية «الطواغيت».

فالنهي عن الحلف بالأباء أو بالأجداد أو باللات والعزى أو غير ذلك ؛ إذا كان مجرد لفظ فقط فهو من الشرك الأصغر ؛ أما إذا كان القصد من الحلف تعظيم المحلوف به كتعظيم الله ؛ أو يعظمه فوق تعظيم الله فهذا يدخل في الشرك الأكبر .

فالصورة هنا في إنسان جرى هذا الحلف على لسانه وهو يعظم الله سبحانه وتعالى ويجله ولا يجعل أحدا يشاركه في صفة من صفاته أو فعل من أفعاله سبحانه وتعالى فيخطئ ويقول : والنعمة والرسول والنبى والأمانة وراس فلان وحياة فلان وحياتك وغير ذلك ، نحن نتكلم على الذي يتلفظ هذه الألفاظ باللسان من باب الجهل والخطأ أما إذا كان في قلبه شيء من باب التعظيم أو المساواة على ما سبق فهذا يدخل في الشرك الأكبر، والتنديد الأكبر. فابن عباس ذكر المثال الأول في قضية الحلف، يعني النوع الأول من التنديد الذي ذكره ابن عباس في الحلف بغير الله.

النوع الثاني: يقول: لولا كلبية هذا لأتانا اللصوص، كلبية تصغير كلب أو كلبة، والمؤلف نقل هذا أو عزاه لابن أبي حاتم في التفسير، وفي تفسير ابن أبي حاتم: كلبة.. لولا كلبة هذا، فإذا كان المؤلف نقله من هناك فالأصل أنه عند ابن أبي حاتم في تفسيره بالتكبير لا التصغير.. لولا كلبة هذا.. فسواء المقصود الكلب الكبير أو الكلبية الصغيرة.. لولا كلبية هذا لأتانا اللصوص.. هذا اعتقد أن الذي يحفظ البيت أو يحفظ المزرعة أو يحفظ الحديقة أو يحفظ الحوش ونحو ذلك من اللصوص الكلب الذي يحرس ونسي أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يكأ الناس (قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن) فهو سبحانه وتعالى الحافظ ، يحفظ الناس ليلا ونهارا، ولو شاء الله سبحانه وتعالى لجعل هذا الكلب ينام ، أو تأخذه غفلة أو يرمى له بشيء فيه سم فيموت ، فيسرق البيت ويؤخذ المال ويقتل الشخص وغير ذلك ، فهو سبحانه وتعالى المتسبب المنعم بالسبب والمنعم بالتوفيق وإمضاء هذا السبب لجلب الخير ودفع الشر. فهذا من الشرك الأصغر ومن التنديد.

هذا كله كلام ابن عباس ؛ وهذا يدل على أن هذه الأمور قديمة في الناس منذ زمن، يعني هي قديمة في الناس وإلى الآن موجودة سواء بهذه الألفاظ أو بنحوها.. «لولا البط في الدار لأتى اللصوص» إذا أيضا هذا الموضوع قديم

البط يكون في الدار خاصة في الأفنية التي في البيوت وتكون الأبواب بعدها فإذا دخل أحد الدار والبط في الفناء يصيح بصوت فيعلم أهل البيت أن هناك إنسانا غريبا قد دخل فيستيقظ أهل الدار .

النوع الثالث : وهو التسوية في المشيئة ، التشريك في المشيئة ، يقول ابن عباس: **«وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت»** فالواو هنا لمطلق الجمع، تفيد التسوية بين المعطوف والمعطوف عليه، فيساوي بين الله سبحانه وتعالى وبين خلقه، يساوي بين الخالق والمخلوق، وسيأتينا في باب مستقل الآن إن شاء الله سبحانه وتعالى: باب قول: ما شاء الله وشئت .

قوله : وقول الرجل: لولا الله وفلان . على ما سبق ؛ لولا الله وفلان ما توظفت أو ما ربحت أو غير ذلك..

يقول ابن عباس في المخرج من هذه المشكلة **«لا تجعل فيها فلانا»** تقول: لولا الله لهلكننا.. لولا الله ما أتانا هذا الخير ونحو ذلك .

ما فسر به ابن عباس وما ختم به تفسير هذه الآية هو الأولى ؛ يعني الأولى أن تقول: لولا الله ؛ ما شاء الله وحده.. لكن أيضا هناك مرتبة ثانية جائزة.. يجوز أن تقول لولا الله ثم فلان.. ما شاء الله ثم شاء فلان.. لأن الله سبحانه وتعالى أثبت للعبد مشيئة (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله) فأثبت للعبد مشيئة (لمن شاء منكم أن يستقيم) فأثبت للعبد مشيئة.. فالصواب أن تجعل هذه المشيئة في مكانها الصحيح فتجعلها بعد مشيئة الله سبحانه وتعالى لا معها ، فتقول ما شاء الله ثم شاء فلان، أو ما شاء الله ثم شئت . والأولى أن تقول كما جاء في الحديث الذي سيأتي حديث الطفيل وغيره تقول: ما شاء الله وحده ؛ أو لولا الله ما حصل لنا كذا وكذا من الخير .

إذا عندنا مرتبتان : واحدة جائزة وواحدة أولى ؛ الجائزة أن تأتي بثم التي تدل على الترتيب والتراخي والمهلة ، أن تؤخر مرتبة العبد ومشية العبد بعد مشيئة الله سبحانه وتعالى بثم ولا تقرن بينهما بالواو .

فلا تقل : لولا الله وفلان.. ما شاء الله وشاء فلان.. هذا كله خطأ وهذا من التنديد، من الشرك الأصغر كما قال ابن عباس وكما سيأتينا في الحديث وفي الآثار .

روى ابن أبي حاتم في التفسير، وهذا إسناد حسن لأن فيه شبيب بن بشر، وشبيب وثقه ابن معين وقال فيه أبو حاتم: لين الحديث ، حديثه حديث الشيوخ. وقال فيه ابن حجر: صدوق يخطئ ، فالحديث إسناده حسن .

قوله : «عن عمر بن الخطاب» رضي الله عنه ؛ وقع في المتن عن عمر بن الخطاب ؛ وصوابه عن ابن عمر .

قوله : «أن رسول الله ﷺ قال: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»» رواه الترمذي وحسنه وصححه الحاكم.. سبب هذا الحديث أن ابن عمر جاءه رجل يقول له: أحلف بالكعبة؟ قال : قل : ورب الكعبة فإن أبي - يعني عمر - حلف بأبيه فقال له النبي ﷺ : لا تحلف بأبيك.. من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك.. فابن عمر ذكر هذا الحديث بناء على هذا السبب لما جاءه هذا السائل يقول له: أحلف بالكعبة؟ قال: لا، قل: ورب الكعبة.. ثم ذكر السبب في ذلك أن النبي ﷺ قال: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» لأن الحلف تأكيد الشيء بذكر معظم - تؤكد الشيء بذكر من تعظمه بصفة مخصوصة، بحرف من حروف القسم: والله بالله تالله - فليس هناك أعظم من الله سبحانه وتعالى لكي يحلف به.. فإذا حلفت بغيره فقد عظمته كتعظيم الله سبحانه وتعالى .

فإذا حلفت بالآباء أو بالأجداد أو بالأمانة أو بالنبي أو بالنعمة أو بغير ذلك فقد عظمت هذه الأشياء وهذه الأمور ؛ هذا السبب في النهي ؛ حتى لو كان ملك مقرب أو حتى لو كان نبيا مرسلا أو حتى لو كان رسولا من الرسل.

قوله : «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» بغير الله، إذا يجب عليك أن تحلف بالله أو بصفة من صفاته، تحلف بالله، بأي اسم من أسمائه أو بصفة من

صفاته، كما جاء في الآيات (فبعزتك) أو كما جاء في الحديث «وعزتك»

والنار تقول «لا وكرامتك» كما في الصحيح.. فيصح أن تحلف بعزة الله أو بكرمه أو بصفة من صفاته ، لأن صفات الله سبحانه وتعالى صفات له ليست مخلوقة، يصح أن تحلف بأي اسم من أسمائه أو بصفة من صفاته كما جاء في

الاستعاذة: أعوذ بكلمات الله.. وكما جاء في حديث الشفاء: أعوذ بعزة الله

وقدرته.. الاستعاذة بصفة من صفاته، والحلف بنفس الشيء، يصح أن تحلف بالله سبحانه وتعالى أو بصفة من صفاته..

«فقد كفر أو أشرك» أو هنا أهل العلم يقولون إما أن تكون شكا من الراوي ، قال كفر أو قال أشرك ؛ أو تكون {أو} بمعنى الواو، كفر وأشرك وهذا بناء على أن بعض أهل العلم يفرق بين الكفر والشرك، ويجعل الشرك نوعا من الكفر، مع أن الشرك نفسه ينقسم إلى أقسام : شرك الطاعة شرك الدعوة شرك المحبة شرك الإرادة والنية ، فيجعل الشرك نوعا من أنواع الكفر، وعلى كل حال سواء كان {أو} معناها الواو ؛ فيكون المعنى كفر وأشرك ، أو كانت للشك من الراوي فالمعنى واضح ، يعني قد أتى بالشرك أو أتى بالكفر

والمقصود هنا الأصغر على الشرط الذي سبق أن الخطأ يأتي فقط باللفظ ولكن إذا قصد تعظيم هذا المحلوف به وجعله مساويا لله سبحانه وتعالى أو كتعظيم الله سبحانه وتعالى فهذا كفر أكبر وتنديد أكبر .
وعند الإمام أحمد كفر وأشرك .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقا» هذا الحديث رواه عن ابن مسعود وبرة بن عبد الرحمن وهو موجود في المصنف لعبد الرزاق، ويقول: عن عبد الله.. ولا أدري ابن عمر أو ابن مسعود.. فيحتمل أن يكون عن ابن مسعود أو ابن عمر ولا يؤثر سواء كان الحديث عن ابن عمر أو عن ابن مسعود فإنه بالنسبة لنا في الاحتجاج لا يؤثر لكن السبب في هذا أنه قال لا أدري.. لأنه أحيانا يقال عن عبد الله ولا يعرف ما المقصود بعبد الله ابن مسعود أم ابن عمر أم ابن عباس؟ فالراوي قال لا أدري ابن مسعود أم ابن عمر وهذا اختلاف لا يؤثر وهو كذا في المصنف .

عن ابن مسعود «لأن أحلف» واللام هنا للابتداء «لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقا» الحلف بالله توحيد ، وهذا التوحيد معه معصية كذب، والكذب كبيرة من الكبائر؛ فهو الآن جمع بين حسنة التوحيد ومعصية الكذب أو كبيرة الكذب، هذا جانب ، وآخر حلف بغير الله صادقا حلف ؛ بالأنداد أو حلف باللات والعزى أو حلف براس فلان أو فلان وهو صادق فقد جمع بين شرك وصدق، أيهما أشد جرما وأعظم فحشا؟ الثاني الذي جمع بين الشرك وإن كان صادقا.. فإن معصية الشرك.. طبعاً نقول معصية الشرك لأنها معصية لأن بعض الناس قد يستشكل أن كل الشرك والكفر بكل أنواعه من المعاصي فجمع بين معصية الشرك وحسنة الصدق.. لكن هذا أعظم وأشد جرما وفحشا ممن حلف بالله وأتى بالتوحيد وأتى معه بكبيرة من الكذب، لذلك ابن مسعود يقول «لأن أحلف بالله كاذبا أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقا» إذا كان هذا الكلام في الشرك الأصغر، كلام ابن مسعود في الشرك الأصغر فما بالك بالذي يأتي بالشرك الأكبر ويذهب عند قبر البدوي يدعوه ويستغيث به ويذبح له وينذر له ويتبرك بقبره ويبيكي عنده يقول: مالي إلا أنت وأنت الذي ستأتي بكذا وتفرج كربتي ونحو ذلك .

وأیضا في هذا الأثر من الفوائد جواز ارتكاب أقل الشرين ضررا إذا كان لا بد من أحدهما.. وهذه مسألة تذكر في القواعد الفقهية ولها صور لكن الإنسان لا بد أن يكون عنده نوع من الفقه ، هل هذا شر فعلا وهل ارتكاب أقل

الضررين سيدفع الحاجة أم لا ؟ لأن بعض الناس قد يتوهم أن ارتكاب هذا الشر سيدفع الحاجة ؛ ولا تدفع ؛ فيرتكب الشر ويقع في المحذور ، لا ، الإنسان يرتكب الشر الأقل إذا كان سيعلم يقينا أو يغلب عليه الظن أنها ستدفع بارتكاب الشر الأقل.. أما إذا كان يغلب على ظنه أنه لن تدفع هذه الحاجة بارتكاب هذا الشر فإنه لا يجوز له أن يقدم عليه . وتفصيل هذا في القواعد الفقهية .

كفارة من وقع في الشرك الأصغر وحلف بغير الله :

قد جاء في الحديث الصحيح في البخاري **«من حلف باللات والعزى فليقل لا إله إلا الله»** يعني كفارتها أن تقول لا إله إلا الله، استغفار وقول كلمة التوحيد، وأيضا قد جاء في الحديث عند أبي يعلى أن الإنسان يقول: **«اللهم إني أعوذ بك من أشرك بك شيئا وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم»**.

وأثر ابن مسعود قال فيه المنذري : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح.. وكذلك رواه ابن أبي شيبة في المصنف ١٢٢٨١، وعبد الرزاق برقم ١٥٩٢٩..

قوله : « وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا تقولوا: ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان» رواه أبو داود بسند صحيح » وهذا أيضا صححه العراقي وصححه النووي في الأذكار وهو حديث صحيح .

{لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان} فأثبت مشيئة العبد فلا مانع أن تأتي بالسبب في مكانه الصحيح لهذه الصيغة ولا تأتي به من صيغة التشريك الواو التي تفيد الجمع .

قوله : « وجاء عن إبراهيم النخعي » وهو الفقيه المشهور إبراهيم بن يزيد النخعي فقيه أهل الكوفة والذي فضله الشعبي على الحسن البصري وعلى ابن سيرين وعلى غيره من التابعين **«جاء عن إبراهيم النخعي: أنه يكره أن يقول أعوذ بالله وبك»** والكراهة في لغة السلف وفي كلامهم تفيد التحريم في الغالب إلا إذا جاء نص يدل على خلاف ذلك، هنا الكراهة المقصود بها الكراهة التحريمية، قال تعالى (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) بعد أن ذكر جملة من المحرمات في سورة الإسراء.. **قوله : « ويجوز أن يقول: بالله ثم بك »** إلى هنا انتهى النقل من مصنف عبد الرزاق، يعني عبد الرزاق روى إلى هنا .

وأيضاً يقول النخعي « ويقول: لولا الله ثم فلان؛ ولا تقولوا ولولا الله وفلان » يعني لا تقل لولا الله وفلان ولكن قل لولا الله ثم فلان وهذا الأثر رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الصمت وهو أقرب إلى ما ذكره المؤلف هنا من رواية عبد الرزاق بلفظ يرخص أن تقول: بالله ثم بك.. ويرخص أن تقول: لولا الله ثم فلان .

رواه ابن أبي الدنيا في كتاب ذم الكلام وفضل الصمت ؛ بهذا اللفظ . ورواية ابن أبي الدنيا أقرب إلى ما ذكره المؤلف.. والعود هنا أو الاستعاذة تكون بمن يقدر عليها، فالاستعاذة لا بد أن تكون بالحي الحاضر القادر، لا يجوز لك أن تستعيز بالغائبين أو بالأموات أو بالجن الغائبين حتى لو قلت أنهم يحضرون في المكان، لا، أنت لا تراهم، وحكمهم حكم الغائب، فلذلك جواز الاستعاذة لا بد أن تكون بهذه الشروط بالحي الحاضر القادر..

وذكرنا في الأول الأبواب في باب الاستعاذة بغير الله أن الاستعاذة شرعية وهي الاستعاذة بالله سبحانه وتعالى وبأسمائه وصفاته، واستعاذة شركية كالاستعاذة بالأموات والغائبين واستعاذة جائزة كأن تستعيز بإنسان يقدر على أن يعيذك، يعني كأن يضرب واحد من الناس آخر فيقول المضروب أعذني يا فلان ، يعني أجرني من هذا الذي يضربني ، فيأتي هذا فيدفع عنه ، فهذه استعاذة جائزة .

فيه مسائل :

الأولى : تفسير آية البقرة في الأنداد .

سبق الكلام عليها .

الثانية : أن الصحابة رضي الله عنهم يفسرون الآية النازلة في الشرك الأكبر أنها تعم الأصغر .

كما في قول ابن عباس رضي الله عنهما .

الثالثة : أن الحلف بغير الله شرك .

كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما .

الرابعة : أنه إذا حلف بغير الله صادقاً فهو أكبر من اليمين الغموس .

كما في أثر ابن مسعود رضي الله عنه .

الخامسة : الفرق بين {الواو} وبين {ثم} في اللفظ .

كما في كلام إبراهيم النخعي .

والله أعلم